مقالة

في

انتقال والدة الاله بالجسد الى السماء

« قامت الملكة عن يمينك مشتملة
بثوبٍ مذهبٍ موشى »
(مز ٤٤ : ١٠)

معربة بتصرف

عن مقالة باللاتينية للخوري داود الخوري ب م

بقلم

الخوري انطون كبورك ب م

مطبعة دير المخلص (صيدا – لبنان)

سنة ١٩٣٤

مقالة

في

انتقال والدة الاله بالجسد الى السماء

« قامت الملكة عن يمينك مشتملة
بثوبٍ مذهبٍ موشى »
(مز ٤٤ : ١٠)

معربة بتصرف

عن مقالة باللاتينية للخوري داود الخوري ب م

بقلم

الخوري انطون كبورك ب م

مطبعة دير المخلص (صيدا – لبنان)

سنة ١٩٣٤

اهداء المقالة

الى مقامكِ السني ايتها المليكة العظيمة الجاه الجالسة على عرش مجدها عن يمين ابنها بثوبها المذهّب الموشّى ارفع مقالتي هذه الحقيرة لتشمليها بعطفكِ الوالدي الحنون وتباركيني وتباركيها وتباركي واضع المقالة والذين يطالعونها لنزيد اجلالاً لعظمتكِ الخطيرة وثقةً بحنوّكِ العطوف ومحبةً ليسوع ابنكِ الذي آتاكِ هذه المنزله العالية وتعلّقاً بكِ ايتها المليكة الباهرة المحاسن .

خادمكِ المحب

الخوري انطون كبورك

الراهب المخلصي

طالعنا بلذة وسرور تعريب المقالة اللاهوتية « في انتقال والدة الاله بالجسد الى السماء » بقلم حضرة الاب العزيز الخوري انطون كيودك ب م الجزيل الاحترام فوجدنا فيها خلاصة ما قالته وعلّمته الكنيسة الكاثوليكية في هذا الموضوع الخطير بكل وضوح واتقان . فلهذا تمجيداً للبتول القديسة وتعميماً للفائدة لا نرى مانعاً من نشره .

الارشمندريت

اغابيوس نعوم

اب عام ب م

أعطي في دير المخلص ١٨ ت ٢ سنه ١٩٣٣

مطرانية الروم الكاثوليك
صيدا لبنان

٢٢ ت ٢ سنة ١٩٣٣

حضرة الاب الحبيب الخوري انطون كبورك ب م المحترم

بعد السلام والدعاء أخذنا كتابكم وتصفحنا المقالة التي عنيتم بتعريبها في بيان حقيقة انتقال والدة الاله المجيدة الى السماء فالفيناها جامعة لشتى البراهين المؤيدة لهذه القضية واننا نثني الثناء العاطر على تقواكم واجتهادكم وبكل ارتياح نأذن لكم بنشر المقالة المذكورة راجين لكم كل خير وتوفيق مع تكرار الدعاء والبركة الرسولية

† تقولاوس
مطران صيدا ودير القمر
وما إليهما

المقدمة

امتاز كثير من آباء الكنيسة ولا سيما المرنمين منهم بمدائحهم الفخمة المنمقة في البتول والدة الاله ، وقد نظموا في الاشادة بفضائلها وكمالاتها السامية تلك الاناشيد المتدفقة بلاغةً وحنواً بنوياً والفائقة بسمو معانيها وتعاليمها على ما نظمه اكابر الشعراء في قصائدهم العبقرية ونفائسهم المروية . لان هؤلاء امثال ڤرجيليوس وهوميروس ومن أخذ إخذهم انما خبطوا في دياجٍ من الخرافات الوهمية ، اما اولئك فقد صاغوا مدائحهم في حقيقة سامية شخصية ، في ابدع خليقة برأتها القدرة الالهية ، في ابنة الآب الازلي وام الابن الوحيد وعروس الروح السامي القداسة . فما من خليقة في السماء وعلى الارض اسمى من مريم . فلذلك لاق بحكمة الله القديرة ان تلهم اناساً من زعماء القول وامراء الشعر ان يترنموا بمدائح ام الله ، ولا نذكر من هؤلاء الآ القديسين يوحنا الدمشقي واندراوس اسقف كريت ويوسف ناظم التسابيح في الكنيسة الشرقية ، وبرنردوس وتوما اللاهوتي في الكنيسة الغربية . فهم ائمة المترنمين باسرار دين المسيح وام المسيح . وما اناشيد وتسابيح الكنيسة سوى نتيجة ما الهمهم الروح القدس ان ينطقوا به في مدح عروسه البكر الطاهرة وابنها الالهي واصفياء الله القديسين .

فجرياً على تقاليد آباء الكنيسة العظام واقتداءً بما كتبوه وعلموه عن ام الله السامية الكمال ، أتجرأ على صوغ كلمتي لا شعراً منمقاً موزوناً ، فذلك ما لا تطمح فيه قريحتي القاصرة . انما لما رأيت ان بين ميزات هذه الفتاة الفريدة المحاسن ميزةً هي آخر ما خصها به ابنها الالهي على الارض واول ما مجدها به في السماء وهي : عصمة جسدها من الفساد بعد الموت ، وانتقالها بالنفس والجسد الى السماء ، احببت ان أتحف بمقالتي هذه ابناء شرقنا الكرام ولا سيما آل الكهنوت

الموقر ، ليقفوا على ما تعلمه الكنيسة جمعاء شرقاً وغرباً في هذه الحقيقة التي كان اتفق اغلب آباء المجمع الفاتيكاني على تحديدها والتي ستكون من اوليات القضايا التي ستحدد في المجمع المسكوني المقبل حين يشاء رئيس احبار الكنيسة الاعظم .

وبذلك تتهيأ الافكار لقبول هذه القضية ، ويتسابق الاكليروس والمؤمنون جميعاً في محبة واكرام هذه المليكة السامية الجلال الجالسة عن يمين ابنها بثوبها المذهب الموشى اي بجسدها البتولي الاطهر ، ويتبادرون الى الالتجاء الى هذه الام الحنون القديرة في هذه الازمة الاقتصادية النازلة بالعالم اجمع لتفرج عنا شدة ضيقها .

وسأمهد لمقالتي هذه بنظرة تاريخية في هذه الحقيقة ، ثم بكلمة توضح المعنى المراد من انتقال ام الله بالجسد ، واتطرق بعد ذلك الى ايراد البراهين على القضية من تعليم الكنيسة وتقليد الآباء ومن الكتاب المقدس والعقل ، وألحق ذلك بكلمة موجزة عن سمو مجد البتول في السماء وموضع دفنها على الارض

وسأعتمد كل الاعتماد في مقالتي هذه على القضية التي قدمها في هذا المعنى من ست سنوات لنيل شهادة الملفنة في رومة حضرة كاتم اسرار بطريركية الروم الكاثوليك الخوري داود الخوري الراهب المخلصي وقد حاز شهادة ملفانٍ في اللاهوت لاجلها . فمع تهنئتي ذلك الاب الفاضل بملفنته ونجاحه الباهر ، اشكره لتكرمه علي بنسخة من تلك القضية التي عربت الشيء الكثير منها واتمنى ان تصيب مقالتي من القبول لدى قرائها ما اصابته قضية حضرة ملفاننا الكريم ، وان على الله الاتكال .

الخوري انطون كيوراك

ب م

نظرة تاريخية

اننا اذا استقرينا الاعصر الاولى للنصرانية من القرن الاول الى السادس قلما نجد ذكراً صريحاً لانتقال والدة الاله بالجسد . وانما نرى الاعتقاد بالامومة الالهية متضمناً حقيقة الانتقال الجسدي : فلأن مريم ام الله لاق ان تنتقل بنفسها وجسدها الى السماء . وما زالت هذه الحقيقة في تقدم وظهور منذ القرون الاولى حتى أقر بها في اواخر القرن السادس واوائل السابع العالم المسيحي اجمع صراحةً وجهاراً

وليس سبب هذا التقدم الكتب المزورة ككتاب « انتقال الطوباوية مريم » والاّ لكان الاعتراف بهذه العقيدة سخيفاً لا قيمة له . ولكن الاعتقاد بانتقال ام الله بالجسد موحىً به بالتقليد الرسولي الواصل الينا ومعتمد عليه . فقبل القرن السادس كانت موجودةً الكتب المزورة التي تروي انتقال العذراء بظروفه واوصافه غير التاريخية . على ان المؤرخين لم يقبلوا بهذه الكتب وروايتها ، وبعضها لم يسلم من الحرم ككتاب « انتقال الطوباوية مريم » . ولكن بعضها لا يخلو من قوة الحجة كما سنبينه في عرض البراهين .

ولم يقم من أرتاب في هذه القضية الاّ افراد قلائل في القرنين الثامن والتاسع وقد اعلنوا ذلك في كتابٍ باسم القديس ايرونيمس . غير انه منذ اواخر القرن السادس بعد ان تأكد لدى الامبراطور موريس إجماع الاكليروس والمؤمنين على الاعتراف بهذه الحقيقة أمر بإقامة عيدٍ اكراماً لانتقال والدة الاله في جميع انحاء مملكته الشرقية . وفي القرن السابع عمّ هذا العيد الكنيسة جمعاء شرقاً وغرباً .

وفي القرون الوسطى علم الكتبة الكنسيون ولا سيما المدرسيين Les Scolastiques ان ام الله انتقلت بنفسها وجسدها الى السماء. ولم يجد عن هذا التعليم الاَّ بعض الافرنسيين في بعض مؤلفاتهم .

وفي القرن السابع عشر قام في جامعة باريس جدال على هذه العقيدة وكان المعارضون قلائل . على ان ذلك كان داعياً لاشتهار ميزة مريم الفائقة القداسة .

أَما اللاهوتيون فمتفقون على توالي العصور من ايام القديس يوحنا الدمشقي الى يومنا هذا على اثبات انتقال مريم العذراء بالجسد ويعلنون مع كاثوليك العالم اجمع ان المنكر لهذه الحقيقة والمرتاب فيها يجرم الى الايمان ليس بجرم الاراتقة دعاة الضلال (لان هذه القضية لم تعلن بعد كعقيدة ايمانية) ولكنه يأثم اثماً فظيعاً كمتجاسر على الايمان . ولذلك اذ رأى مئة واربعة وتسعون أَباً في المجمع الڤاتيكاني ان هذه القضية قد حان وقت اعتلانها واصبح قبولها ممكناً بلا ممانع ولا معارض طلبوا تحديدها ايمانيًا . بيد أَنها أُرجئت الى المجمع المسكوني المقبل الذي سينعقد حين يشاء الله ويأمر حبر الكنيسة الاعلى .

بحثان تمهيديان

البحث الاول

ايضاح القضية

قبل ان نبرهن على عقيدة انتقال العذراء يجدر بنا ان نقول كلمة توضح معنى القضية وما المراد بكلمة «انتقال» التي عليها مدار كلامنا :

فالانتقال بالمعنى اللاهوتي المسيحي يراد به وفاة احد المسيحيين ابناء الله وذهاب نفسه دون جسده الى ملاقاة ربها لتنال جزاءً او عقاباً عمّا صنعت في حياتها على الارض من الخير او الشر .

وفي قضيتنا هذه نريد بالانتقال قيامة سيدتنا والدة الاله وارتقاؤها بنفسها وجسدها الى السماء بعد وفاتها بايام قلائل .

فنرمي اذن في مقالتنا هذه الى ان نعلن الامتياز السامي الذي حازته مريم الفائقة القداسة بعد موتها وهو قيامتها من القبر وارتقاء جسدها متحداً مع نفسها الى السماء حيث تتمتع بسعادة

كاملة ابدية مع ابنها الالمي كما سيتمتع البشر الطوباويون كلهم بعد القيامة العامة والدينونة الاخيرة . وهذا ما تحتفل به الكنيسة الجامعة شرقاً وغرباً في يوم ١٥ اغسطس اذ تقيم عيداً لرقاد مريم المجيدة وقيامتها وانتقالها .

على اننا لا نتعرّض في بحثنا لإثبات ما يختص بظروف هذا الانتقال التي تتشعّب فيها آراء اللاهوتيين . ولا نتكلم عن مكان دفن هذه السيدة المباركة هل تمّ في الجسمانية ام في افسس فبعد ان نبرهن على القضية نقول كلمة موجزة في هذا الشان

فامتياز والدة الاله قائم جوهرياً في تمجيد جسدها متحداً مع نفسها الطوباوية . فلا نتكلم عن موتها لانه اكيد لم ينكره الا افراد قلائل بينهم القديس ابيفانس . وما انكارهم إلا لإجلالهم لوالدة الاله . على ان ذلك الاجلال والاعفاء من الموت كان اولى بالسيد المسيح الذي «مات على ما في الكتب» . فضلاً عن ان مريم البتول قد انتُخبت من الله لتكون شريكة ابنها في فداء الجنس البشري ، فكالفادي الالمي ليست مستثناة لا من الآلام ولا من الموت .

وسنبرهن على قضيتنا اولاً من تعليم الكنيسة منذ نشأتها الى اليوم ، ثانياً من كتابات آباء وملافنة الكنيسة ، ثم من الكتاب المقدس ، ونختم بحثنا بالبرهان العقلي اللاهوتي .

البحث الثاني

علاقة هذه القضية بحقائق الايمان

ان حقيقة انتقال والدة الاله بجسدها الى السماء اكيدة ثابتة مما تعلمه الكنيسة بسلطانها المعصوم في الحقائق المختصة بالايمان والآداب . فقبل الاتيان بالبراهين نرى ان نبين عن أي المصادر الاكيدة تأتي الحقائق التي تؤلف وديعة الايمان وهل قضيتنا من حقائق الايمان نظراً الى قيامة البتول التي هي حادث تاريخي .

قال المجمع الفاتيكاني في مختصر دستوره اللاهوتي « كنيسة المسيح » : « ان موضوع العصمة هو في وديعة الايمان وفي ما هو ضروري لحفظ هذه الوديعة . والعصمة التي تنفرد بها كنيسة المسيح تشمل كلّ كلام الله الموحى وكلّ ما يصون بأمانة وان يكن غير موحىً تلك الوديعة او ما يعلنها لنؤمن به او ما يفسرها او ما يثبتها او ما يحميها بقوة من الضلال ومناقضة العلم الكاذب[1] »

وهنا ننبه اولاً الى أن للوحي الالهي مصدرين : الكتاب المقدس ، والتقليد الالهي الرسولي . فكل الحقائق الموحاة المؤلفة

---

(١) راجع Renaudin في كتابه La définibilité de l'Assomption صفحة ٨٤

وديعة الايمان توجد في هذين المصدرين ومنهما تستقي كنيسة المسيح

ثانياً ان التقليد الشفاهي هو احد اجزاء الوحي حتى قبل الكتاب المقدس . لان الكنيسة تشيدت على التعليم الشفاهي . تلك كانت ارادة السيد المسيح الذي رتب جوهر ارساليته على الوعظ وليس على الكتابة حسب الهام الله . قال في انجيل متى : « اذهبوا وعلموا كل الامم . » (٢٨ : ١٩) وقال في انجيل مرقص : « اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل » (١٦ : ١٥) واناً لانسلم بسلطة الكتاب المقدس إلاّ لانّ الكنيسة المعصومة تعلن لنا انه موحىً به من الله [1]

فلننظر الآن هل قيامة العذراء المجيدة بجسدها الطاهر وانتقالها هما من الحقائق التي هي موضوع عصمة الكنيسة التعليمية . فنجيب بدون تردد انه لكذلك . نعم ان قيامة العذراء وانتقالها هما بذاتيهما حادثان تاريخيان يمكن اثباتهما كباقي الحوادث التاريخية ولكنهما من الحوادث التي لها علاقة بالوحي :

اولاً لان قيامة ام الله وانتقالها لهما علاقة قوية كعلاقة النتائج بمقدماتها بقضيتي الامومة الالهية والحبل الطاهر بلا دنس الخطيئة الاصلية ، وبمحبة المخلص الالهي لامه المجيدة ،

---

1) Renaudin : La définibilité .. P. 11

وباشترا كها مع ابنها الفادي القدوس في فداء البشر .

ثم ان قيامة ام الله لها علاقة واضحة بحقيقة ايمانية هي القيامة العامة في الدهر الآتي ، وبشريعة اخرى موحاةٍ نظيرها وهي : « انك تراب والى التراب تعود . » (تك ٣ : ١٩) وقد حكم بها على آدم ان يكون عرضة لفساد القبر . فمريم البتول مستثناة من هاتين الشريعتين الموحى بهما ولا سيما ان نفسها الكلية القداسة أرجعت الى جسدها الاطهر فتتمتع بالسعادة الخالدة بطبيعتها البشرية الكاملة وهذا لا يمكن معرفته الاَّ بوحيٍ الهي .

فيبين اذن ان قيامة والدة الاله وانتقالها ليسا حادثين تاريخيين محضين ولا مما يمكن اثباته تاريخياً فقط ، فمن الوجهة الاعتقادية وهي الاولى هما في حيز الكنيسة التي سلمها مخلصنا الالهي السلطة والوظيفة لتحافظ بامانة على وديعة الايمان وتعلنها بنوعٍ معصوم من الغلط .

فاذ قد وضح كل ما ذكر نأتي اولاً بالبرهانين اللذين هما اقوى ما يثبت هذه العقيدة وهما تعليم الكنيسة على توالي الاجيال ، واعتقاد المؤمنين بهذه القضية .

البراهين على القضية

١ً البرهان من تعليم الكنيسة دائماً بهذه القضية

قلنا اننا نعتقد بانتقال والدة الاله بجسدها الى السماء استناداً الى سلطة الكنيسة المعصومة من الغلط في ما يختص بالايمان والآداب اما الآن فنسند اعتقادنا الى تعليم الكنيسة الدائم بهذه القضية، وهذا التعليم يتجلى بابهى مظاهره اولاً في سلطان الكنيسة الاعتيادي الاعلى (وبهذا السلطان نفهم وعظ الاساقفة ورعاة النفوس) ثم في اعتقاد المؤمنين العام واخيراً في الليتورجيا.

اولاً — في سلطان الكنيسة الاعتيادي الاعلى.

ان كنيسة الله الحي هي عمود الحق وقاعدته (١ تي ٣ : ١٥) وسلطة الكنيسة هي هي على توالي الاجيال فلم تنقص ولم ترد. فهي الآن كما كانت يوم صعود السيد المسيح متمتعة بالعصمة ليس فعلاً فقط بل شرعاً بقوة معاضدة الروح القدس لها. وقد قال المخلص الالهي لرسله: «اذهبوا وعلموا كل الامم... وانا معكم كل الايام...» (مت ٢٨ : ١٩) والله الصادق لا يمكن ان يخلف بوعده، «والى انقضاء الدهر» يمدُّ بعونه وحكمته

طغمة الاساقفة خلفاء الرسل المتحدين مع الحبر الروماني، وقد حفظهم ويحفظهم من كل ضلال في تعليمه المسلم منه اليهم. وتتمتع الكنيسة بهذه العصمة عند ما يلتئم الاساقفة في مجمع عام، او حينما يتمسكون وهم منتشرون في كل العالم باحدى العقائد إمّا بنوع صريح وإمّا ضمناً عند ما يظهر قبولهم من سكوتهم[1] »

ان علامة الضلال عند جميع الآباء هي انتحال تعليم غير موجود في الكنيسة ولم تتناقله الرعاة على تعاقب الايام. ففي المجامع كان ما تمسك به الرعاة المنتشرون في انحاء الكنيسة هو الكلام الفصل في كل جدال. ولذلك اعطى المجمع الفاتيكاني القوة القاطعة ذاتها للسلطان الاسقفي الاعتيادي وللأحكام الرسمية بقوله: « كل ما هو موجود في الكتب المقدسة وفي التقليد وتقدّمه الكنيسة كلهم به من الله لنعتقد به بحكم احتفالي او بسلطانها العام الاعتيادي، يجب الاعتقاد به بايمان الهي كاثوليكي[2] »

وما سلطان الكنيسة العام الاعتيادي سوى سلطان الاساقفة المنتشرين في العالم المتحدين مع الحبر الروماني.

ففي ما يتعلق بانتقال والدة الاله بجسدها الى السماء لا يوجد لا حكم احتفالي ولا تحديد اعتقادي ولا كلام فاصل من قبل الاحبار الرومانيين والمجامع المسكونية. انما الكنيسة علمت به

---

1) Renaudin : La définibilité. P. 85
2) Tanquerey : De Ecclesia Christi. P. 591

بنوع صريح بارشادات رعاتها الاعتيادية . وإنه ليسهل تحقق شهادة اولئك الرعاة الواحدة كل سنة في يوم ١٥ اغسطس . ولا فرق في ان يعلم الاساقفة ذلك بانفسهم او ينتخبوا كهنةً نواباً عنهم في الوعظ والارشاد فلئن كان هؤلاء اصغر منهم رتبة إلّا انهم مقتبلون جزءًا من السلطة التعليمية وهم آلة الطغمة الاسقفية وباسمها يعلمون . والخطباء الكنسيون اجمع يعلنون في مواعظهم وارشاداتهم انتصار العذراء المجيدة في السماء . فلو لم تكن موجودة هنالك بنفسها وجسدها لما كانت الكنيسة علمت بلسان وعّاظها باحراز البتول ذلك الشرف الوسيم وذلك باتفاق الآراء وبواسطة سلطانها الاعتيادي .

وتعلم الكنيسة بالحقيقة نفسها بنوع واضح في التعليم المسيحي وفي النشرات المجمعية حتى في رسائل الاحبار الاعظمين كما في رسالة البابا اسكندر الثالث الى امير ايقونية (وان لم تكن لهذه الرسالة صبغة رسمية) .

هذا وان الكنيسة لا تتسامح في منبر الحقيقة ان يثبت الكهنة خدمتها او ان يتلقى المؤمنون ابناؤها كتابة او شفاهاً في كل مكان وكأنما بصوت واحد ما هو ضلال . ان الكنيسة لا تقبل ما هو ضلال ولا تاتي به ولا تسكت عن الناطقين به [1] .

---

1) Ren . La définib . P . 91

ثانياً — في اعتقاد المؤمنين العام بهذه القضية

اننا نستطيع ان ننظر الى العصمة في الكنيسة من وجهتين : اولاً بحسب ما هي فاعلة ومعلّمة وهي تشمل الحبر الروماني وطغمة الاساقفة المتحدين معه وهم الذين يبينون لنا صحة معتقدنا الكاثوليكي فنتأكده ونؤمن به . ثانياً بحسب ما هي انفعالية او متعلمة وهي تشمل الشعب المؤمن المسيحي الذي يتلقى التعليم من رعاته . وهذه تدعى العصمة في الاعتقاد : بمعنى ان الروح القدس الحافظ الكنيسة من كل ضلال يتخلل جسم هذه الكنيسة وينير العقول لتفهم الرعية حسناً تعاليم الايمان الواصلة اليها من الرعاة وتحافظ عليها بكل حرص وعناية . فليست اذن العصمة الانفعالية الا نتيجة العصمة الفاعلية . وبهذا تتم الوحدة ويكون اتفاق الكلمة بين الرعية ورعاتها . ومن ذلك نستنتج وجود سبب لهذا الاتفاق العام . لان الله لم يسمح ولن يسمح ان يعلم الرعاة او يتمسك المؤمنون بما يضاد الوحي الالهي[1] . وقد اعتبرت الاجيال كلها شهادة الكنيسة المتعلمة كشهادة الكنيسة المعلمة مستندين الى وعد السيد المسيح القائل : هاءنذا معكم كل الايام والى انقضاء الدهر .

---

1) Ren . La définib . P . 87 .

ولتكون وحدةُ اعتقاد المؤمنين قاعدةَ الحقيقة المعصومة يجب ان تكون اولاً اكيدة واضحة . ثانياً متعلقة بالايمان والآداب ثالثاً متفقاً عليها اتفاقاً ادبياً عاماً [1] .

ولا ريب في ان هذه الشروط الثلاثة قد تحققت في عقيدة انتقال سيدتنا والدة الاله :

اولاً ان الواعظين يتكلمون في ١٥ اغسطس امام الشعب عن انتقال العذراء المجيدة بجسدها الى السماء بنوع ساطع البيان لا يترك مظنّةً في النفوس .

ثانياً ان انتقال العذراء هو من حقائق الايمان التي تستعمل الكنيسة عصمتها فيها ولا احد يقبل به كاعجوبة اذا أثبتته شهادة بشرية ولا كحادث تاريخي لان الجميع يعتبرونه متعلقاً باسرار الديانة .

ثالثاً اما الاتفاق الادبي فلا ضرورة للكلام عنه ويكفي ان نقول ان جميع الكنائس المسيحية على اختلاف طقوسها تقيم عيد انتقال البتول الطاهرة بكل أبهة واحتفال ، وهذا ما يظهر بنوع جلي واضح في الليتورجيا التي هي عنوان تعليم الرعاة الدائم وصورة اعتقاد المؤمنين المتواصل .

---

1) Tanquerey « De Ecclesia Christi » P. 665.

ثالثاً — البرهان من ليتورجيا الكنيستين اللاتينية واليونانية

ان كنيسة المسيح تعلم الحقائق الدينية بطريقة صريحة هي الوعظ والارشاد ، وبطريقة غير صريحة بالتسابيح والاناشيد الكنسية . وفي كلتا الطريقتين تتمتع بمساعدة الروح القدس لها حسب وعد السيد المسيح . على ان لبرهان الليتورجيا قوة شريعة لكل المسيحيين (اذا كان شاملاً الكنيسة جميعها او الكنيسة الرومانية وليس كنيسة خاصة منفردة) حسب المثل اللاهوتي السائر : « شريعة الصلاة هي شريعة الاعتقاد » وبرهان الليتورجيا يبين التعليم الصحيح من وجهتين : اولاً لانه يعلن اعتقاد الكنيسة في ايامنا . ثانياً لأنه يظهر الاعتقاد الموجود حين تأليف تلك الصلاة

والكنيسة الكاثوليكية عامةً (حتى الكنائس القديمة المنفصلة) تعتقد بما في ليتورجياتها عن امتياز العذراء المجيدة وتعلّم به . وبين الاعياد المقامة اكراماً لوالدة الاله يحتفل بأعظم أبهةٍ بعيد انتقالها الاشرف في ١٥ اغسطس . وكان يحتفل بهذا العيد منذُ القرن السابع في الكنيسة جمعاء شرقاً وغرباً (كما رأينا في النظرة التاريخية) . وفي أيام القديس غريغوريوس اسقف تور (٥٩٥) كان يعيَّد لانتقال البتول في غاليا في اواسط شهر كانون الثاني . والمؤرخ نيكيفورس كاليستس يخبر بأن الملك

موريس هو الذي أمر باقامة هذا العيد في ١٥ اغسطس . والكتبة الكنسيون المحققون يتكلمون عن عيدٍ كانت تقيمه كنيسة انطاكية اكراماً لمريم العذراء قبل المجمع الافسسي بنحو خمسين سنة . والارجح ان ذلك العيد كان اكراماً للأمومة الالهية . على أنه لا ريب في ان الشرق والغرب يحتفلان منذ القرن السابع بعيد ١٥ اغسطس وهو لذكر رقاد أم الله وقيامتها وانتقالها بالجسد الى السماء

١ . بنوعيا الكنيسة اللاتينية . — في عيد ١٥ اغسطس لا يُقام في الكنيسة اللاتينية تذكار رقاد العذراء المجيدة لكنما يعيَّد لقيامتها وانتقالها بالجسد كما يظهر ذلك من اسم العيد ومن صلواته . وبناد كتوس الرابع عشر يتخذ من ذلك برهاناً لإثبات قضيتنا بقوله : « اذا كانت الكنيسة لا تحتفل في ١٥ اغسطس والايام التابعة له بانتقال العذراء الى السماء فعظات القديسين يوحنا الدمشقي وبرنردس التي جرت العادة ان تقرأ على المؤمنين والتي تثبت انتقال البتول بنفسها وجسدها الى السماء لا تترك محلاً للريب بسبب سلطة هذين القديسين وشهادتهما[1] »

وفي كتاب الساعات الروماني في الخامس عشر من اغسطس نقرأ عظةً للقديس الدمشقي فيها هذا القول : « اليوم تابوت الله الحي والمقدس الذي وسع الخالق يستريح في هيكل الرب الذي

1) De canoniz . Sanct . L . I , C . XII ,

لم تبنه يدٌ . وكيف تفترس المنيَّةُ القديسةَ التي حبلت بابن الله وولدته بدون ألم وكانت بجملتها مكرَّسة لله ؟ كيف تحويها الجحيم ؟ وكيف ينال الفساد جسداً حل الحياة[1] . »

وفي الثامن عشر من آب تُقرأ عظة اخرى للدمشقي بهذا المعنى . وفي التاسع عشر تُقرأ عظة القديس برنردس عن انتقال والدة الاله . ولا يمكن فهم تلك الاقوال إلَّا بمعنى الارتقاء بالجسد الى السماء .

٢ . ولنرَ الآن الكنائس الشرقية ولاسيما كنيستنا الملكية . — ففي الليتورجيا اليونانية يسمَّى عيد انتقال العذراء المجيدة بنوع عام : « عيد رقاد الفائقة القداسة المجيدة سيدتنا والدة الاله الدائمة البتولية مريم . » على ان كلمة « رقاد » لا يراد بها نكران الانتقال « لان اليونان (كما يلاحظ ذلك بصواب الاب ماتيوسي [Mattiussi]) يفوقون اللاتين في تعظيم قيامة البتول وتمجيد جسدها في السماء . فلا عجب اذا اختار اليونان بين الاعمال التي تختص بانتقال والدة الاله العمل الاول المعروف طبيعياً لان كلمة رقاد ليست الوحيدة لتعني الانتقال[2] . »

ومهما كان الاسم فلا ريب في ان كنيستنا اليونانية تريد مع تعييدها لرقاد او وفاة والدة الاله في ١٥ اغسطس ان تحتفل ايضاً

---

1) P . G . XCVI, c . 728
2) L'Assunzione corporea P. 52

بقيامتها وانتقالها بالجسد الى السماء. وهذا يتضح من قراءة الفرض المختص بعيدها المذكور في ذلك اليوم والايام التي تليه.

واليك الآن بعض شهادات الليتورجيا الصريحة التي تظهر فكر الكنيسة اليونانية في ما يخص انتقال العذراء المجيدة بالجسد الى السماء:

١ً) في ١٤ اغسطس يقول يوسف المرنم في قانون تقدمة العيد في التسبحة الخامسة: « ان رمسكِ يا كلية الطهارة يكرز بدفنكِ وانتقالكِ الآن بالجسد الى السماوات.»

٢ً) وفي التسبحة السابعة من القانون نفسه نقرأ ايضاً: « ان جسدكِ ايتها البتول الطاهرة قد صعد من القبر وترك لنا البركة لتنير العميان وتظهر رافتكِ السخية.»

٣ً) وفي صلاة الغروب ليلة العيد ينشد: « يا للعجب العجاب ان ينبوع الحياة قد وُضعت في قبر واللحد صار سلّماً الى السماء.» فكيف يصير القبر سُلّماً الى السماء لو لم يكن ما يحويه القبر وهو جسد البتول الاطهر القابل الفساد قد عُصم من الفساد وارتقى على ايدي الملائكة كما على سُلّمٍ الى الاخدار الابدية السعيدة؟

٤ً) واثباتاً لذلك هاك ما يقال ايضاً في صلاة الغروب نفسها: « ان القوات السماوية الرفيعة الشأن اتوا مع سيدهم الخاص ليواكبوا الجسد ذا الكرامة الالهية والفائق السناء

مشمولين بالمهابة سائرين بتأنٍ وزينةٍ فائقة هاتفين بنوع غير منظور الى رؤساء الطغمات العلوية : ها ان ملكة الجميع الفتاة الالهية قد اقبلت .»

٥) وفي التسبحة السادسة من قانون العيد المؤلف من القديس قزما المنشىء ايضاح جليٌّ وشهادة صريحة لقيامة البتول وانتقالها بالجسد الى السماء فينشد هكذا : « ان اله الكل الملك قد منحكِ ما يفوق الطبيعة لانه كما صانكِ في الولادة عذراء كذلك صان جسدكِ في الرمس بلا فساد ومجدكِ معه بانتقالكِ الالهي وشرّفكِ كما يليق بابنٍ لامه .»

٦) وفي التسبحة الرابعة من القانون الثاني لعيد ١٥ اغسطس يقول القديس يوحنّا الدمشقي ناظم ذلك القانون : « ان جيوش الملائكة في حين انتقالكِ يا أُمّ الاله حجبوا جسدكِ الرحب القابل الاله باجنحتهم الموقرة بخوف وفرح .»

ويمكن الاتيان بشهادات اكثر من تلك من كتبنا الليتورجية لايضاح حقيقة قيامة والدة الاله وانتقالها بالجسد الى السماء لكننا نكتفي بما ذكرنا لئلا يملّ المطالع . كما اننا لا نتعرّض لذكر ما في ليتورجيات وصلوات بقية الكنائس الشرقية فجميع هذه الكنائس الارمن والسريان والكلدان والموارنة تحتفل بعيد ١٥ اغسطس اعظم احتفال . وفي التقويم الكنسي للاقباط في ٢١ اغسطس تقرأ هذه العبارة : « انتقال والدة الاله بالجسد

الى السماء . » وفي ما ذكرنا ايضاح كافٍ لقضيتنا .

نتيجة البرهان المستند الى تعليم الكنيسة الدائم بهذه القضية

ان حقيقة بحثنا تتضح بكفاية من تعليم الكنيسة المعصوم . ولا حاجة ان نأتي بشهادات آباء الاعصر الاولى للمسيحية لنثبت انتقال العذراء المجيدة . فكنيسة الله الحي لم تزل عمود الحق وقاعدته . وما تعلمه اليوم قد علمته دائماً ، ومنذ البدء تعلمه ولو بنوع ضمني وستعلمه الى انقضاء الدهر . وليس التقليد الكتابي اعظم قوةً من التقليد الشفاهي الذي يتم بوعظ الاساقفة المتفقين على التعليم الواحد . « ان التقليد الشفاهي الحي هو ايضاً قاعدة الحق المعصومة حسب المبدأ القائل : ما تعتقد به الكنيسة كلها هو الحقيقة . واذا اعتقدت بحقيقة مرة واحدة ثبتت تلك الحقيقة دائماً [1] . »

ان سلطة الكنيسة لها قوة هكذا عظيمة حتى ان القديس اغوسطينس يقول : « اني لا أعتقد بالانجيل ما لم تحملني سلطة الكنيسة على الاعتقاد به [2] . » واهمية الوعظ هي هكذا كبيرة حتى انها تقوم مقام التحديد الرسمي . قال العلامة الكردينال (Billot) في كلامه عن الانتخاب : « ان هذه الحقيقة تتعلق

1) Mgr. Malou, « L'Imm. Conception » T. I, P. 25. — Renaudin « La doctrine... » P. 37. 2) Chez Vaccari « De corporea Deiparæ Assumptione. » P. 49.

باعتقاد الكنيسة الكاثوليكي حتى انها وان لم تحدد صراحةً لا في مجمع مسكوني ولا في منشور باباوي فان الوعظ الدائم والصريح بها هو بمثابة التحديد الثابت الواضح[1] .»

مع ذلك فلكي ندحض اقوال اعداء الكنيسة المأخوذين بروح وآراء العقليين نأتي باقوال العصور الاولى وشهادات الملافنة .

٢ً البرهان من تقليد الاباء والملافنة

— توطئة — اننا نستطيع ان نؤكد بديهياً قدميَّة الاعتقاد بانتقال والدة الاله واتصاله بعهد الرسل بمبدإ الاستحلال الذي اجلَّه واعتمد عليه الآباء ومحامو الايمان الكاثوليكي في العصور الاولى كالقديس ايريناوس والمعلم ترتليانس . « واللاهوتيون لا يأتون ببرهان سواه ليثبتوا قدميَّة الاعتقاد بان الاسرار سبعة[2] .»

كذلك سلَّم بكل صواب بانتقال البتول كلُّ المسيحيين ، لا الكاثوليك وحدهم ، لكن الضالون او الهراتقة والمنفصلون عن الحبر الروماني وقد اعتقدوا بهذه الحقيقة منذ القرون الاولى للنصرانية . وبالتالي يحق لنا ان نقول مع القديس اغوسطينس :

1) De Deo Uno et Trino, ed. 7a, P. 293.
2) P. Mattiussi « Disputation.... » P. 13.

« ان ما تعتقد به الكنيسة جمعاء ، ولم تحدده المجامع ، لكن ثبت دائماً محفوظاً فيها ، لم تعتقد به الكنيسة الا عن سلطة رسولية[1] . »
والقديس ايريناوس يضيف الى ذلك : « لا ضرورة ان نبحث عن حقيقة يمكننا ان نأخذها بسهولة عن الكنيسة ، لان الرسل وضعوا في وديعة الايمان كل ما هو حق بسخاء وافر[2] . » فعلى منكري هذه القضية ان يثبتوا اقوالهم بالبرهان ، اما نحن فبرهاننا بيدنا ، وحق المستولي اولى .

اولاً شهادات الآباء الشرقيين

عرفنا فكر الكنيسة من اتفاق كلمة رعاتها واعتقاد المؤمنين العام ومن الليتورجيا ونرى الآن ان الاعتقاد في انتقال العذراء المجيدة كان عند الآباء ملافنة الكنيسة ولا سيما المدرسيين منهم كما هو اليوم عندنا

فاقول بنوع اجمالي : ان اغلب الذين تكلموا عن الانتقال اعلنوا اعتقادهم بنوع صريح ، وبعضهم بنوع ضمني عن وجود جسد والدة الاله في السماء . وتكلموا ما عدا القليلين منهم عن الانتقال كما تعلمه الكنيسة اليوم اي انهم اثبتوا قيامة ام الله وانتقالها بالجسد الى السماء بعد وفاتها . ما عدا القديس ابيفانوس الذي رأى ان يرتاب في موت مريم في محاماته عن دوام بتوليتها ،

1) De Baptismo L. IV, C. 24. 2) Adv. haer. L. III, C. IV

ومال الى القول بعدم موتها . ولكن لدينا اتفاق الآباء العام النسبي في موت وانتقال البتول ، وبالتالي لدينا الحقيقة الثابتة المعصومة .

وها نحن نورد بعض امثلة على ذلك مأخوذة عن الآباء القدماء

يقول المؤلفون عموماً انه لا توجد شهادات صريحة قبل اواسط القرن السادس ويوردون الشهادات الاولى المأخوذة عن القديس غريغوريوس التوري في الغرب (سنة ٥٩٣) والقديس مودستوس بطريرك اورشليم في الشرق (سنة ٦٢٤)

اجل انه ليس لدينا قبل القرن السادس شهادات كثيرة صريحة عن انتقال البتول ، انما يمكننا اذا طالعنا اقوال الآباء باكثر امعان ان يقع نظرنا على شهادات لا يستهان بها . واليك ايها المطالع اقوالاً قديمة من الآباء الذين قبل القرن السادس عن الاعتقاد بالانتقال :

قال القديس ايپوليتس الروماني (سنة ٢٦٠) في كلامه عن السيد له المجد : « ان السيد منزه عن الخطإ وقد تظلّل بحسب الجسد بشجرتين بريئتين من الفساد اي بالعذراء مريم وبالروح القدس من داخل ، ومن خارج بكلمة الله كأنما بذهب خالص[1] » فبما ان شجرة البتول بريئة من الفساد والروح القدس حلّ فيها ، وجب ان يصان جسدها في القبر بلا فساد ، ثم ان ترقى بهذا

1) P. G. X, C. 610

الجسد الى السماء .

والقديس متوديوس المدعو ايضاً اوبوليوس (Eubulius) الذي أقيم اسقفاً لمدينة صور وتحمل عذاب الاستشهاد (سنة ٣٠٢) يقول لوالدة الاله : « ايتها البتول السامية القداسة لقد اطلعتِ كنهارٍ فائق السناء شمسَ العدل فتبدَّدت حالكات الظلمات الهائلة، وتلاشت قوة المتجبر ، والموت أبيد ، والجحيم ابتُلعت [1] » فاذا كانت بولادتها المخلص الكريم جلت عنا حالكات الظلمات ، أفيحق ان تسدل ظلمات القبر عليها استارها ؟ واذا كانت لاشت قوة المتجبر وأبيد الموت بولادتها وابتُلعت الجحيم فكيف يمكن ان تسطو قوة ذلك المتجبر الطاغية عليها يوم وفاتها ويسود عليها الموت وتبتلع الجحيم ذلك الجسد الفائق الطهارة والقداسة ؟

وعندنا ايضاً قبل القرن السادس القديس ابيفانس (سنة ٤٠٣) الذي يفيض في تعظيم طهارة مريم في محاماته عن دوام بتوليتها حتى يرتاب في هل خضع جسدها لشريعة الموت . وبهذا المعنى نفسه تقريباً يتكلم الكاهنان الاورشليميان تيموتاوس و كرسبس في القرن الخامس [2]

والقديس غريغوريوس النيصصي (سنة ٣٩٤) في كتابه (البتولية) اذ يتكلم عن هذه السيدة الالهية بعد ان يقول : « ان الموت اقترب منها — يقول — وكما أنه تحطم امام ثمرة

1) P. G. XVIII, C. 360. 2) Echos d'Orient ann. 1926.

بكارتها كأنما بصخر كذلك تحطم امامها » (περὶ αὐτὴν συνετρίβη)

***

ولنأتِ الان الى الشهادات الصريحة مبتدئين بالآباء الذين توجد عندهم في القرون الاولى تقاريظ كثيرة في انتقال العذراء مريم بالجسد الى السماء

ان القديس جرمانس بطريرك القسطنطينية (سنة ٧١٥) له ثلاث عظات في رقاد البتول ، ويرى في الامومة الالهية علةً للانتقال بالجسد . قال : « قد كتب عنكِ انكِ جميلة ، وجسدكِ البتولي كله مقدس ، ومحله طاهر ، وكله مسكن الله ، ولذلك حُفظ من التحول الى التراب . فكأنَّ الحياة البشرية تحولت الى حياة فائقة لا يعتريها فساد منزهة عن الخطإ ممجدة كاملة لا رقاد فيها لانه من المحال ان يُغلَق بقبر كما على الاموات على من هي الاناء الذي وسع الاله والهيكل الحي للاهوت الابن الوحيد الاقدس[1] . » وفي محل آخر يقول : « لقد وجب ان يحفظ من فساد الموت الجسدُ الذي قَبِل الحياة[2] . » وفي المعنى نفسه يتكلم القديس تيودورس الستوديتي سنة ٨٢٦

والقديس مودستس الاورشليمي (سنة ٦٣٤) يقول في مريم : « ان المسيح الاله اتى من الدائمة البكارة لابساً بواسطة الروح القدس جسداً ذا نفس عاقلة ، فاختارها وبثَّ فيها عدم

1) P. G. XCVIII, C. 345 2) P. G. XCVIII, C. 358

الفساد ومجدها بنوع فائق لكي تكون وارثة معه ، كما يليق بابن نحو امه السامية القداسة . وهذا ما ترنم به صاحب المزامير قائلاً : قامت الملكة عن يمينك مشتملة بثوب مذهب موشى[1] .»

اخيراً نأتي بالشهادات الصريحة المعتمد عليها عادة عند اللاهوتيين وهي للقديسين يوحنا الدمشقي واندراوس اسقف كريت :

ان القديس الدمشقي هو المعلم المريمي في عظاته وفي اناشيده الليتورجية . ففي احدى عظاته عن والدة الاله يقول : « ماذا يوجد اعظم من هذا وهو انه كما ان ذاك الجسد المقدس الطاهر الذي اخذه الله منها (من مريم) وضمه الى اقنومه الالهي اقامه في اليوم الثالث ، هكذا لاق ان تنهض الام من القبر وتقيم عند ابنها[2] .»

وفي عظة اخرى عن رقاد والدة الاله يقول : « ياله من موت عظيم به تساميتِ حتى بلغتِ الى الله ! لانه اذا كان يوليكِ ما اولاه لجميع عبيده المتشحين بالله فاين يكون الفرق غير المتناهي بين عبيد الله وام الله ؟ فبأي اسم ندعو هذا السر الصائر فيكِ ؟ أهو موت ؟ لانه مع ان نفسكِ الكلية القداسة انفصلت بحسب سنة الطبيعة عن جسدكِ الاطهر ، فهذا الجسد الذي أودع القبر لم يبقَ مائتاً ولم يلحقه فساد ، انما كما انه في الولادة بقيت البكارة سالمة

1) P. G. XCVI, C. 3290. 2) P.G. XCVI, C. 741

كذلك في انتقالك من الحياة بقي الجسد سليماً ولم يلمّ به فساد لكن تحول الى خباء الهي بديع لا يحطمه موت لكن يدوم على مدى الاجيال[1]. »

فمن كلمات القديس الدمشقي الاخيرة يظهر جلياً ان امتياز مريم ليس قائماً بحصول نفسها على المشاهدة الطوباوية بعد موتها كباقي القديسين، لكن بان سعادة نفسها المتحدة مع جسدها دائمة الى الابد.

والقديس اندراوس اسقف كريت الدمشقي المولد ايضاً الناسك في اورشليم الذي سيم اسقفاً على جزيرة كريت سنة ٧٢٤ قد كتب ثماني عظات اكراماً لوالدة الاله، منها ثلاث في رقادها المقدس، وكباقي القديسين الشرقيين يسند برهانه الى فراغ القبر ويثبت وجوب سلامة جسد البتول من الفساد بعد موتها بسبب سلامة بكارتها في ولادتها يسوع. قال: « ياللعجب! الولادة سلمت من كل فساد والقبر لم يلحقه فساد بالموت. حقاً ان القبر بقي فارغاً فشهادته فيه وهي شهادة على انتقالها[2]. »

وكثيرون من الاباء الشرقيين تكلموا عن رقاد ام الله ودائماً بالنوع نفسه. على ان روح الكنيسة الشرقية منحصر في ليتورجيتها كما راينا. وقد عبر عنها جلياً يوحنّا الاكائي في اواسط القرن الحادي عشر قائلاً: (Μητρὸς Θεοῦ κοίμησιν ἑορτάζομεν σήμερον.

1) P.G. XCVI, C. 716 2) P.G. XCVII, C. 1083

Μητρὸς Θεοῦ κατάπαυσιν, Μητρὸς Θεοῦ μετάστασιν, ἀνάβασιν, ἔπασιν)

« اننا نقيم اليوم (١٥ اغسطس) عيد رقاد والدة الاله ودفن والدة الاله وانتقال والدة الاله وصعودها وتتويجها[1] . »

ثانيا شهادة الآباء اللاتين

نورد الان كمؤيد للحقيقة بعض شهادات للاباء الغربيين الذين يثبتون ويعلنون بصوتٍ واحد حقيقة انتقال والدة الاله بالجسد . ويستندون في اثباتهم كالاباء الشرقيين الى الاساس الاولي في قضيتنا وهو الامومة الالهية

قال القديس غريغوريوس اسقف تور (٥٩٣) متكلماً عن انتقال البتول : « ان الرب حضر بينهم (الرسل) ثانيةً وامر ان يحمل الجسد الاقدس بالسحب الى النعيم حيث بعد اتحاده بالنفس يبتهج مع المختارين ويتنعم بسعادة ابدية لا نهاية لها[2] »

وفي القرن السابع تكلم القديسان الاسبانيان ايسيدروس (٦٢٦) وايلديفنس (٦٥٧) عن انتقال البتول بالمعنى ذاته

أخيراً كان يمكننا ان نورد بنوع خاص شهادات القديسين بطرس داميانوس وانسلموس وبرنردس وبطرس دي بلوا الذي يقول : « لقد راى السيد المسيح انه لا يصعد بكامله الى السماء ما لم يُصعِد التي اخذ من لحمها ودمها جسده الالهي . » لكننا

1) P. G. CXX, C. 1080 2) Ench . Patr. n. 2290

نكتفي بهذا القدر من شهادات الاباء اثباتاً لقضيتنا واعلاناً للحقيقة

ثالثاً شهادات اللاهوتيين

ان اللاهوتيين الكاثوليكيين جميعاً ولا سيما المدرسيين على رأي واحد في اثبات انتقال والدة الاله بالجسد . واتفاقهم هذا يشير الى أن الكنيسة تُلزم بهذه الحقيقة كرأي لاهوتي ثابت . ورأي اللاهوتيين المتفق عليه أكبر برهان على الحقيقة ، لانه ولو ان الحق في تحديد عقائد الايمان مختص بطغمة الاساقفة الموقرين المتحدين مع الحبر الروماني ، إنما فعلاً لا تحدَّد حقيقة إيمانية ما لم يُستَشر فيها اللاهوتيون .

فحذراً من الاطالة المملّة نكتفي بشهادة القديس توما الأكويني إمام اللاهوتيين والقديس ألبرتس الكبير أستاذ القديس توما مُستغنين بهما عن شهادة سواهما

قال القديس توما في شرح السلام الملاكي : « واللعنة الثالثة حلَّت على جميع الرجال والنساء وهي أن يعودوا إلى التراب . أمَّا العذراء المجيدة فقد سلمت من هذه اللعنة لأنها انتقلت بجسدها الى السماء . فنعتقد أنها أُقيمت بعد موتها ونُقلت الى السماء . »

والقديس البرتس الكبير يقول : « إن كرامة والدة الاله لم تُمسَّ بقيود الموت ، فجسدها لم يتحول الى تراب لأنّه كما أنَّ الآب

لم يدع قدوسه اي المسيح يرى فساداً كذلك لم يدع قديسته الخاصة ترى فساداً[1] »

وفي كتاب آخر يأتي البرتس نفسه بالبراهين الدالة على لياقة انتقال والدة الاله وببعض شهادات للاباء ويختم كلامه « إنه لواضح أن الطوباوية والدة الاله انتقلت بنفسها وجسدها الى ما فوق سراتب الملائكة.[2] » ونلحق بشهادة هذين القديسين المعظمين شهادة أخرى لأحد رجال الكنيسة العظام في أيامنا الحاضرة وهو الكردينال غسباري Gasparri الذي يقول في كتابه « التعليم الكاثوليكي » : « إن الكنيسة تعتقد بأن جسد العذراء مريم انفصل عن نفسها — وهذا دليل موتها — ثم أن نفسها اتحدت بجسدها الذي عُصم من الفساد وبواسطة الملائكة ارتفعت مريم البتول الى السماء وعظمت على طغمات الملائكة. » (Catéchisme pour Les adultes Q. 77)

إعتراض على شهادة التقليد

نأتي الآن الى الصعوبتين الناتجتين عن أن هذه الحقيقة مستندة الى الكتب المزوّرة وعن أن كتبة القرون الأولى لم يتكلموا عنها

إننا نسلم بان الشهادات التقليدية للقرون الأولى غير واضحة وأنّ بين الموارد التي صدرت عنها عقيدة انتقال البتول توجد

---

1) De Laud. B. M. V., L. IV, C. 4.
2) Quaestionibus super Missus est, n. 132

الكتب المزوَّرة . غير ان سكوت القرون الاولى ليس حجةً ضد هذه العقيدة ، كما انه لا يمكن ان نتجاسر ونثبت ان اعتقاد كنيسة المسيح بهذه القضية مأخوذ عن الكتب المزورة

١) ليس سكوت القرون الاولى حجة ضد قضيتنا

لا عجب اذا كان انتقال والدة الاله غير مذكور في مستندات القرون الاولى فذلك لان هذه العقيدة لم تكن حينئذ موضوع البحث والإرشاد . أجل انّ كلام الوحي الالهي الذي تتألف منه كل وديعة الايمان الكاثوليكي انتهى بوفاة آخر رسول وهو القديس يوحنا الانجيلي . والكنيسة بعده أوجبت على نفسها حفظ وديعة كلام الله الموحى وسلَّمتْه الى الشعب المسيحي المؤمن . إلّا ان الكنيسة في اعلانها وتحديدها كل حقيقة تسير بكل توَدة وفطنة حسبما يلهمها الروح القدس الذي « يعلمها كل حق » (يو ١٦ : ١٣) هكذا مثلاً في القرون الاولى كتمت الكنيسة بسبب الوثنيين كثيراً من الحقائق والاسرار كسر القربان الاقدس الذي كانت تعلمه برموز وامثال وقت الارشاد العمومي وتشرحه على انفراد لخاصة المسيحيين

ويوجد مثال على ذلك في الكتاب المقدس الذي لم يعلِّم في العهد القديم سر الثالوث الاقدس بنوع واضح لئلّا يعتقد بنو اسرائيل بكثرة الالهة . كذلك كان سكوت رعاة النفوس

المسيحيين عن حقيقة انتقال البتول حافظاً الوثنيين او المرتدين حديثاً عن الوثنية من الاعتقاد بكثرة الالهة والالاهات عند المسيحيين كما في الديانة الوثنية.

فكان محور الكلام في تلك العصور الاولى عن الحقائق الاساسية . وحسب راي الاب Mattiussi كانت العناية كلها منصرفة الى حفظ الحقائق المختصة بالله وبيسوع المسيح سليمة من سهام دعاة الضلال . ولذلك كان محور الكلام عن ام الله يدور حول امومتها الالهية وسلامة بكارتها لان لهاتين القضيتين علاقة كبرى بسر التجسد الالهي [1]

وكما يقول الاب « ڤاكاري [2] » انه وان كان السكوت في القرنين الاول والثاني برهاناً سلبياً ، فمع ذلك كثيرون من الاباء والكتبة المتأخرين عن القرنين الاول والثاني عوضوا عن ذلك السكوت . ولا عجب في انه لم يات عند الاباء الاولين ذكر لانتقال مريم بالجسد لان الواصل الينا من كتاباتهم ليس الا شذرات قليلة لا تآليف مطولة وقد فُقد الشيء الكثير منها على توالي الايام او ابادته ايادي البرابرة . كما انه يجب ان لا ننسى حنق القياصرة الرومانيين على المسيحيين ومَنْعهم كتبهم ومؤلفاتهم عن الانتشار . ما عدا ان كثرة العجائب في تلك

1) P. Mattiussi « in Disputatio » P. 14
2) P. Vaccari , ap. Marini P.431 sq .

العصور الاولى للنصرانية بنوع غريب باهر كانت تؤيد الايمان اكثر من ارشادات الخطباء وكتابات الملافنة واللاهوتيين . هذا فضلًا عن ان الكتب والمؤلفات كانت نادرة كثيراً في تلك الآونة

ثم ان انتقال والدة الاله كان في ذلك الحين امراً مشتهراً ذائعاً تتداوله الالسنة ويخطب فيه الواعظون ولم يوجد في ذلك الحين من ينكره لتفنّد مزاعم المنكرين المضادين .

ويقول الاب ڤاكاري : « ان الآباء والمعلمين الكنسيين لم يعلنوا قضية انتقال البتول برأيهم الخاص لكنهم ورثوا هذه الحقيقة عن الآباء القدماء . والقضية كلها مستندة الى حكم هؤلاء الآباء وشهاداتهم . »

٢) ان الكنيسة لم تأخذ حقيقة انتقال العذراء عن الكتب المزورة .

لا ريب في ان كتباً مزورة كثيرة ظهرت في القرنين الرابع والخامس وتكلمت عن انتقال البتول قبل ان تكون لدينا مستندات التقليد الصريحة في هذه القضية . انما لا يجوز ان نستنتج من ذلك ان الكنيسة اخذت تعليمها عن الكتب المزورة وبالتالي ان هذا التعليم خرافيٌّ برمّته . فيجب بالأَولى ان نستنتج من اختلاف الكتب المزوّرة في غير هذه القضية واتفاقها فيها انها حقيقة ثابتة .

وانه ليقتضي تجنب المجازفة في القول بان الكتب المزوّرة لم ترو الا قصصاً خرافية . لان هذا ينافي حقيقة النقد . ذلك ان هذه الكتب يجب ان تطابق جوهرياً تقاليد الكنائس التي تصدر عنها والا لما امكن ان نوضح سرعة انتشار هذه الكتب بزمن يسير وانتسابها الى اشخاص عظيمي الشهرة

ثم ان الشهادة القويمة الرأي الصحيحة الايمان الواردة في الكتب المزورة لا يجوز نبذها عفواً لانها تستحق ثقتنا من بعض الاوجه . وبعد التثبت من زمان تاليفها نعرف وجود ما تقوله في ذلك الزمان . فالكتب المزورة تفترض وجود الآراء الشائعة فيما يخص الحقيقة ولا تُوجِد تلك الآراء

ثم ان الكنيسة الكاثوليكية لا تتخذ موضوع ايمانها عن هذه المصادر الملفقة ، كما يدّعي البروتستنت والعقليون . لكنها بالعكس تعتني كثيراً في ان تقيم فرقاً بين الكتب المزوّرة والحقيقية فترذل المزورة كما رذل البابا جلاسيوس كتاب « انتقال الطوباوية مريم »

وينبه احد المؤلفين المتضلعين من قضيتنا هذه (P.Jugie)[1] : « الى ان تاثير الكتب المزورة في عقيدة انتقال البتول مبالَغ فيه . لان جميع هذه الكتب عموماً لا تتكلم بحصر المعنى عن الانتقال انما تروي باسهابٍ الظروف التي تصوّرتها مرافقة لموت

1) Echos d'Orient, ann. 1926, P. 390

ودفن هذه الام الالهية» والاباء الذين تكلموا عن الانتقال الجسدي كالقديس متوديوس والقديس يوحنا الدمشقي لم يعتمدوا البتة على الكتب المزورة .

وختاماً لما قلناه عن سكوت آباء الاعصر الاولى وعن الكتب المزورة نقول مع الاب جوجي Jugie « ان القرون الخمسة الاولى لم تمتنع عن الكلام عن السر المجيد سر انتهاء حياة مريم الزمنية . فاذا كانت لم تتكلم عن الانتقال فلأنه لم يوجد احد ينكره . وقد اتينا باثباتات واضحة من غير الكتب المزورة فهذه ابتدأت في آخر القرن الخامس ولم تُفِدْ سوى انها جملت ونظَّمت ما كان يُعتقد به بيقين ثابت[1] . »

٣ — البرهان من الكتاب المقدس

رأينا الى الآن فكر الكنيسة المتضح في كرازة الاساقفة المتفق بالتمام مع اعتقاد المؤمنين بانتقال والدة الاله بالجسد الى السماء . وقد اثبتنا هذه الحقيقة من الليتورجيات ومن شهادات الاباء والملافنة واللاهوتيين .

والان يجب ان نرى هل عقيدة الانتقال صادرة عن الوحي المكتوب اي عن الاسفار المقدسة .

— توطئة — : ان الكنيسة تعلّم ان الله يوحي الحقائق في

1) Eeh. d'Or . ann . 1929, P. 307

الكتب المقدسة على نوعين : اولا بالكلام وهذا يؤدي المعنى الحرفي . ثانياً بالاشياء وهذه تؤدي المعنى الروحي او الرمزي .

قال القديس توما امام اللاهوتيين : « اعلان الحقيقة يمكن ان يكون بالكلمات وبالاشياء ، بحيث ان الكلمات تعني الاشياء ، والاشياء ترمز الى اشياء اخر غيرها . واله الاشياء كلها يمكن ان يطبّق الكلمات لتفيد كل معنى يريد . ويمكن ان يتصرف بالشيء لمعنى غير معناه الاصلي .

« على هذه الطريقة يكون اعلان الحقيقة في الكتاب الكريم على نوعين : بالكلمات التى تعني الاشياء ، وبهذا يقوم المعنى الحرفي . ثم بالاشياء التي ترمز الى اشياء اخر غيرها وبهذا يقوم المعنى الروحي . وعلى هذا تتضمن الاسفار المقدسة معاني كثيرة والمعنى الروحي يعتمد دائماً على المعنى الحرفي وينتج عنه [1] »

وبما ان الروح القدس هو مصدر المعنى الحرفي والمعنى الرمزي او الروحي يتضح جلياً ان لهما قوة واحدة على اثبات الحقيقة .

وهنا نرذل بكل قوة مبدأ البروتستنت القائل بحرية تفسير الكتاب المقدس حسب رأي كل انسان . لان هذا الرأي يؤدي الى اثبات المتناقضات واحياناً الى ضلال فظيع في الحقائق الدينية . ونتمسك اشد التمسك بالقاعدة التي رسمها المجمع الفاتيكاني وهي : « لكي نحصل على المعنى الحقيقي في الكتاب

1) Quodlib. VII, Q. 6, 14

المقدس نتمسك بما تمسكت وتتمسك به امنا الكنيسة المقدسة التي لها وحدها الحق في ان تحكم في معنى الكتاب المقدس وتفسره . ولا يُسمح لاحد ان يفسره بخلاف المعنى الذي تفسره الكنيسة او بخلاف ما اتفق عليه الآباء القديسون[1] . » وهذه القاعدة تصح خاصة في المعنى الروحي . ونحن نعلم معتقدين ايمانياً ان الكنيسة وحدها موعودة بمساعدة الروح القدس لا كل مؤمن بمفرده .

بهذه التوطئة نبلغ الى الكلام عن انتقال والدة الاله بالجسد مقتفين آثار الآباء القديسين وتعليم الكنيسة الواضح خصوصاً في الليتورجيا ، باحثين في العهدين القديم والجديد عن الرموز التي تشير الى صيانة جسد البتول من الفساد وانتقالها الشريف ، ومفتشين عن الآيات التي تعبر عن هاتين الحقيقتين بالمعنى الحرفي

اولاً — . ان الكتاب المقدس اشار بنوع رمزي الى انتقال العذراء بالجسد .

١ً . ان اغلب الرموز التي رأت الآباء والكنيسة انها ترمز عن ام الله تشير الى صيانتها التامة من الفساد وانتصارها المجيد الباهر على قوات الجحيم . وفي هذا الانتصار يجب ان يشترك جسدها الاطهر مع نفسها الفائقة القداسة :

1) Const . Dei filius C. 2 .

هكذا رأى القديسون افرام السرياني واندراوس اسقف كريت وجرمانس بطريرك القسطنطينية في شجرة الحياة التي كانت في وسط جنة عدن رمزاً الى العذراء مريم التي اعطتنا ثمرة الحياة وهي المسيح الهنا وفادينا . وقد رأت الكنيسة والآباء رسماً لهذه السيدة الالهية في العليقة الملتهبة غير المحترقة التي رآها موسى على جبل حوريب (خر ٣ : ٢)

ووجد الآباء رسماً واضحاً لمريم في تابوت العهد الذي كان من خشب غير فان . وقد اشارت الكنيسة اللاتينية الى ذلك في طلبة السيدة . امّا الكنيسة اليونانية ففي محلات لا عدد لها ولاسيما في قانون المديح . والى هذا يشير سفر الرؤيا بقوله : «وانفتح هيكل في السماء وظهر تابوت عهده في هيكله . » (رؤ ١١ : ١٩) ورموز اخر كثيرة في العهد القديم تشير الى والدة الاله قد ورد ذكرها مطوّلاً في الليتورجيا المقدسة

٢ً ولم يرمز الى السيدة البتول بالاشياء فقط بل بالاشخاص الذين نالوا الظفر على اعداء شعب الله وبهذا اشاروا الى انتصار العذراء المجيدة على اعداء الله والبشر وعلى الموت والفساد :

هكذا استير حظيت عند الملك احشورش ونالت الظفر هي وجميع الشعب الاسرائيلي على هامان الوزير عدوهم المنافق . كذلك نالت مريم البتول مكانة عظمى عند الاله القدير ملك الملوك وانتصرت على قوات الجحيم الهائلة انتصاراً مجيداً باهراً

ولذلك وجب ان لا يمس جسدها في القبر فساد وان ترتقي بنفسها وجسدها الى السماء لئلّا يكون للجحيم او لقوات الجحيم سلطان عليها . ولذلك يقول في سفر نشيد الاناشيد مشيراً الى انتقال هذه الملكة الظافرة : « من هذه المشرقة كالصبح الجميلة كالقمر المختارة كالشمس المرهوبة كصفوف تحت الرايات . » (٦ : ٩) « من هذه الطالعة من القفر المستندة الى حبيبها . » (٨ : ٥) وفي سفر المزامير يقول : « قامت الملكة عن يمينك مشتملة بثوب مذهّب موشّى » (٤٤ : ١٠) وما ذلك اللباس المذهب الموشى سوى جسدها البتولي الطاهر . ويشير الى انتصار ام الله البهي الامجد سفر الرؤيا حين يقول : « وظهرت في السماء آية عظيمة امرأة ملتحفة بالشمس وتحت قدميها القمر وعلى رأسها اكليل من اثني عشر كوكباً . » (١٢ : ١)

« فعلمو الكنيسة الكثيرون الذين وجدوا هذه الرموز الكتابية لا يستهان بهم لان جمهورهم المتفق الرأي يثبت الاعتقاد بانتقال البتول واجماعهم على تفسير الكتاب يخول ذلك التفسير قوة عظيمة وارجحية كبرى ولا يحرف نص الكتاب لكن يزيد على المعنى الحرفي معنى رمزيًّا مقبولاً لدى الكثيرين [1] . »

---

1) P. Mattiussi « Disputatio » P . 29 .

ثانياً — ان الكتاب المقدس يشهد ضمنياً بانتقال والدة الاله بالجسد بحسب المعنى الحرفي .

يمكننا مع استنادنا الى سلطة الكنيسة ان نجد في الكتاب المقدس شهادتين تثبتان ضمنياً لكن بنوع اكيد انتقال ام الله بالجسد . على ان الكنيسة لم تصدر بعد حكمها النهائي بهذا المعنى والّا لكان انتقال البتول عقيدة ايمانية وان تكن توجد شهادات كنسيَّة تؤيد هذه الحقيقة

والبرهان المستنتج من هاتين الشهادتين مأخوذ من اللاهوتيين من بعد تحديد عقيدة الحبل بلا دنس . فالشهادة الاولى مستخلصة من السلام الملاكي ، والثانية مأخوذة من العهد القديم

١ً شهادة السلام الملاكي

لا ينكر ان النص الانجيلي ليس واضحاً بذاتهِ ليثبت اثباتاً اكيداً مطلقاً قضية الانتقال ، على انه ما عدا النص الانجيلي قد اتضحت وتأكدت حقيقة الانتقال من تعليم الكنيسة . فالآباء ومعلمو الكنيسة قد نظروا الانتقال كما نظروا الحبل بلا دنس بين النعم التي افاضها الكلمة المتجسد على امه الالهية فجعلتها ممتلئة نعمة . ولذلك يمكننا ان نعيد ما اعلنه السعيد الذكر البابا

بيوس التاسع في نشرته « Ineffabilis » متكلماً عن الحبل الطاهر قال . « اذ تمعن الآباء والكتبة الكنسيُّون بتبشير الملاك للبتول بالامومة الالهية بامر الله وباسمه وتسميته اياها ممتلئة نعمةً قد علموا انه بهذا السلام الفريد المعظَّم الذي لم يسمع بمثله ان والدة الاله اصبحت عرشاً استقرت فيه جميع النعم الالهية و كنزاً ولجةً عميقة فيها جميع مواهب الروح القدس . ولذلك اضحت بريئة من اللعنة مشاركة ابنها بالبركة الدائمة واستحقت ان تسمع من اليصابات وهي ملهمة من الروح القدس « مباركة انت في النساء ومبارك ثمر بطنك . »

وقد رأينا كيف اثبت القديس توما الاكويني الانتقال الجسدي من السلام الملاكي

اذن كما ان ميزة الحبل بلا دنس متضمنة في قول الملاك : « السلام عليك يا ممتلئة نعمة » كذلك ميزة الانتقال . وبهذه النتيجة نسير على آثار البابا الكسندروس الثالث الذي كتب سنة ١١٥٠ الى امير ايقونيا : « ان مريم حبلت بدون مسّ بكارتها وولدت بدون ألم ، وانتقلت عنّا بدون فساد حسب قول الملاك ، بل حسب قول الله بواسطة الملاك : « السلام عليك يا ممتلئة نعمة » وليس « يا قليلة الامتلاء من النعم[1] . »

1) Mattiussi « Disputatis » P. 32.

ان النصوص الموردة لاثبات الحبل بلا دنس في النشرة « Ineffabilis » تحتوي بنوع ضمني ولكن واضح على حقيقة الانتقال :

« واجعل عداوةً بينكِ وبين المرأة وبين نسلكِ ونسلها فهو يسحق رأسكِ وانتِ ترصدين عقبه (تك ٣ : ١٥)

ان اللاهوتيين جميعاً لا يترددون في ان الكلام هنا عن والدة الاله . انه وان كان الكلام موجّها رأساً إلى حوّاء ، إلّا ان التقليد يثبت ويؤكد لنا ان حوّاء هنا رمز الى مريم . ففي هذه الآية تُعلن العداوة بين المرأة والحية ، بين ام الله والشيطان . وقد كُتب النصر لمريم المجيدة بواسطة سيدنا يسوع المسيح الذي هو نسلها . وقد نالت الام من انتصار ابنها لانه بما ان العداوة تنسب الى المرأة والانتصار ينسب الى نسلها ينتج ان المرأة ونسلها واحد . ولذلك يكون لمريم نصيب مع ابنها الالهي في العداوة وفي الانتصار .

لنرَ الآن بماذا يقوم انتصار المسيح على الشيطان . ان هذا الامر لا يحتاج الى بحث طويل . فالكتاب المقدس نفسه يأتينا بالجواب المقنع . قال في رسالة يوحنّا الحبيب الاولى : « لهذا ظهر

ابن الله : لينقض اعمال ابليس . » (٣ : ٨)

ولا ريب ان ما جاء السيد المسيح يعمله قد أتمه فعلاً وحقاً . لان مشورة الله لا تنقض .

والحال ان اعمال الشيطان هي قبل كل شيء الخطيئة ، ومع الخطيئة الشهوة والموت ، لانهما نتيجة وثمرة الخطيئة . وفي الكتاب المقدس نقرأ ان المسيح انتصر على هؤلاء الثلثة : الخطيئة والشهوة والموت :

١) انتصر على الخطيئة — قال القديس يوحنا المعمدان : « هذا حمل الله الرافع خطيئة العالم » (يو ١ : ٢٩)

٢) انتصر على الشهوة — ان المخلص الالهي لم يكن فقط معصوماً من كل حركة غير مرتبة لكن يهبنا قوة لنستطيع بمعونة نعمته ان نكبح جماح الشهوة فينا . كان بولس الرسول العظيم يشعر في اعضائه بناموس يضاد ناموس روحه وكان يهتف بحسرة نفس : « الويل لي انا الانسان الشقي من يعتقني من جسد الموت هذا ؟ — واذ عزاه الروح القدس بالهاماته المحيية هتف بثقة : نعمة الله بيسوع المسيح ربنا . » (رومية ٧ : ٢٣ — ٢٥)

٣) انتصر على الموت — قال القديس بولس الالهي في كلامه عن قيامة المسيح وقيامة الاموات وانتصار المخلص على الموت : « وآخر عدو يبطل هو الموت لان الله اخضع كل شيء تحت قدميه (المسيح) (١ كور ١٥ : ٢٦) واذ تأمل هذا الاناء

المصطفى في انتصار المسيح المجيد هتف بهزة الطرب والافتخار بسيده الظافر : « اين غلبتك ايها الموت ؟ واين شوكتك ايها الموت : ان شوكة الموت هي الخطيئة وقوة الموت هي الناموس . فشكراً لله الذي منحنا الغلبة بربنا يسوع المسيح . » (١ كور ١٥ : ٥٥ و٥٧)

وبما ان جميع البشر مدعوون ليشتركوا بانتصار آدم الجديد يسوع المسيح ابن الله ، وان لم يكن بالنوع نفسه والمقدار ذاته . فما نصيب مريم التي يسميها الآباء القديسون حوّاء الجديدة ؟

لا شك ان لها النصيب الاوفر والابدع بعد ابنها الالهي كما يظهر من النبوءة الاولى (واجعل عداوةً الخ) حيث امتازت مريم بافضل نوع بكل نعمة ، اذ اشتركت بانتصار السيد المسيح على الحية الجهنمية . فليس اذن للخطيئة ولا للشهوة ولا للموت سلطان على أم الله كما انها لا سلطان لها على السيد المسيح :

١) انتصرت على الخطيئة : انها لعقيدة ايمانية ان مريم منزهة عن الخطيئة الاصلية وكل خطيئة فعلية .

٢) انتصرت على الشهوة : بما انها منزهة عن الخطيئة لا يجوز ان نرتاب في عصمتها من كل شهوة وكل زرع خطيئة .

٣) انتصرت على الموت : بالامتياز نفسه يليق ان تظفر بالموت . نعم هي ماتت نظير ابنها الالهي انما لا بالموت الذي يلحق الفساد بالمائتين ويكون عقاباً عن الخطيئة .

فلم نثبت اعتباطاً اذن ان النبوءة الاولى متضمنة الانتقال. لاننا قد تتبعنا آثار آبائنا القديسين الذين سموا مريم حواء الجديدة، بها نحيا جميعنا كما نحن مائتون بحواء الاولى.

نختم هذا البرهان الكتابي بعبارة موافقة المقام للاب (Mattiussi): «ان بيوس التاسع يرتئي ويؤكد بشهادتين من الكتاب المقدس ان مريم تقدّست منذ الحبل الطاهر بها فنثبت نحن بالشهادتين نفسيهما امتيازها المجيد القائم بعصمتها من فساد الموت وقيامتها وانتقالها بالجسد الى السماء[1].»

٤ً. البرهان العقلي اللاهوتي

نأتي الآن بالبرهان العقلي او بالاسباب التي تثبت نظرياً انتقال البتول بالجسد «لأنّ العقل المستقيم — كما يقول البابا بيوس التاسع — يبين حقيقة الايمان ويحافظ عليها ويحميها[2].»

يأتي اللاهوتيون بعدة اسباب تثبت الانتقال الجسدي — ١ً الامومة الالهية — ٢ً الحبل الطاهر بوالدة الاله — ٣ً العصمة من الخطإ — ٤ً دوام البتولية — ٥ً سمو القداسة — ٦ً اشتراك ام الله مع ابنها الالهي في عمل الفداء المقدس — ٧ً عدم وجود ذخائر من

1) Mattiussi: «Disputatio» p. 33.
2) Pius IX in «Qui Pluribus» 1846

جسد العذراء مريم

انما السبب الاولي الذي لاجله اضحت مريم ممتلئة نعمة وحائزة على كل ميزة سامية هو الامومة الالهية . انه لا يمكننا ان نعدل عن هذا الفكر وهو ان مريم وُجدت لتكون ام الله فكل ما نالته من النعم كالحبل الطاهر بها والعصمة من الخطإ ودوام البتولية الخ . لا علة له الّا الامومة الالهية .

هذا باختصار ما يوضح كيف يرتبط انتقال العذراء المجيدة بباقي ميزاتها .

اولاً . الانتقال الجسدي هو نتيجة الامومة الالهية

ان معلمي الكنيسة يجعلون الامومة الالهية العلة الاولى الاساسية لانتقال مريم . قال بوسويت (Bossuet) : « انه يوجد ارتباط عجيب بين اسرار الديانة المسيحيَّة : وسرُّ انتقال مريم العذراء له علاقة فريدة بسر تجسد الكلمة الازلية . فاذا كانت البتول قبلت يسوع المخلص (في حشاها الطاهر) فالحق يقضي بان يقبل والدته (في السماء) وبما انه لم يأنف ان ينزل اليها فمن الواجب ان يرفعها اليه ليدخلها مجدَه[1] . »

ان مريم حملت ابناً هو معطي الحياة ومصدرها فاذا كان

1) Exorde du second sermon sur l'annontiation

قبول السيد المسيح في سر القربان الاقدس هو عربون الخلود، فكيف لا تكون فريدة الدنيا في الانتصار العام على الموت، تلك التي حملت في حشاها الاطهر مدة تسعة اشهر مبدأ الخلود؟

والرب نفسه تنبأ انه كابن البشر سيأتي على سحاب السماء ليدين العالم اجمع. فاذا كان يريد ان تُؤدّى له كانسانٍ العبادة والاجلال من سكان الارض والسماء يوم الدينونة، أفلا يليق ان يتمجد مع جسده الاطهر جسدُ امه الفائقة القداسة لنستدل من ذلك جلياً على طبيعته البشرية الممجدة؟

وبسر التجسد اصبح جسد يسوع وجسد مريم جسداً واحداً، فهل ينقسم هذا الجسد بين الارض والسماء فيكون جزء منه ممجداً وغير فاسد وجزء آخر طعاماً للدود وتراباً ورماداً؟ أفيليق ان يكون جزء من جسد يسوع في يدي الموت؟ أفيكون انتصار المسيح اذن على الموت غير كامل؟

ومع الآباء يمكننا ان نقول: انّ قيامة والدة الاله مع قيامة السيد المسيح تزيد حقيقة القيامة في الدهر الآتي قوة ووضوحاً. نعم ان السيد المسيح كان ذا جسدٍ حقيقي ظاهر لكن الشخص الهي. وارتيابنا يزول فيما لو رأينا جسداً بشرياً ممجداً في شخص مخلوق. ومن يمكن ان تكون تلك الخليقة الممجدة سوى امّ المخلص التي اتحدت اتحاداً كلياً بابنها الالهي؟ فبما انها امُّ الله هي امُّ جميع المتبنين لله. ولذلك يحث القديس

برنردوس — في خطابه عن بهجة الطوباويين عند دخول والدة الاله الى السماء — يحث على الابتهاج بمجد مريم لاننا ذاهبون الى ذلك الوطن السماوي الذي سبقتنا اليه أُمنا البتولُ المباركة.

ثانياً ان صيانة جسد والدة الاله في القبر بلا فساد هي نتيجة وتتمة الحبل الطاهر بها

انه بسبب الامومة الالهية قد حُبل بسيدتنا مريم العذراء بلا دنس الخطيئة الاصلية، ولم تخضع لنتائج جريرة آدم. لاننا بهذه الجريرة تعرضنا لثلاثة شرور — ١ خسرنا النعمة — ٢ هاجت الشهوة فينا — ٣ صار الجسد عرضةً للموت والفساد.

١ نعرف من الايمان ان مريم العذراء معصومة من كل خطإ.

٢ ثم نحن متأكدون انها حُفظت من كل شهوة وخطيئة. اما في المسألة الثالثة فلا نقول ان مريم لم تمت لكن لا يمكن ان تموت موت الخطأة. ويجب ان نميز بين موتٍ هو انفصال النفس عن الجسد، وموتٍ تكون نتيجتهُ فساد الجسد في القبر. فالموتُ الاول طبيعي ويمكن ان يحصل بدون خطيئة. قال المعلم الملاكي القديس توما: «ليس جسدُ الانسان غير قابل الانحلال طبعاً بقوة الخلود الموجود فيه، لكن نفسه خُصَّت بقوة ممنوحة من الله بنوع فائق الطبيعة، وبهذه القوة يستطيع الجسد ان يُحفظ من

الفساد ما دامت النفس خاضعةً لله[1] .»

والموت الذي ينتهي الى القبر والفساد هو قصاص الخطيئة حسبما قال الرسول : « بالخطيئة دخل الموت الى العالم . » (رو ٥ : ١٢) والحال ان الله عند انزاله القصاص بآدم الخاطئ قال له : « انك تراب والى التراب تعود . » (تك ٣ : ١٩) . اذن بما ان والدة الاله لم تتلطخ بالخطيئة الاصلية ولم تعرف الخطيئة الشخصية فلا يحق ان تموت بالموت الذي دخل العالم بالخطيئة ، ويجب ان نعكس الآية في البتول الطاهرة ونقول نحوها : « الى التراب لن تعودي »

ثالثاً . عصمة مريم من حركات الشهوة تزيد في قوة البرهان المأخوذ عن الحبل الطاهر

ان عصمة مريم من سلطان الشهوة لا يتفق مع فساد القبر . وهذا الفساد لا يليق بجسد ام الله الفائق الطهر . فبما انّ جسد مريم لم يعرف لا الخطيئة ولا ادنى حركة غير مرتبة تجذب الى الخطيئة لا يجوز ان يفسد كالاجساد المتأثرة من الشهوة التي يجب ان تنحل قصاصاً على الخطيئة ثم تتجدد قبل ان تشترك بمجد الحياة الابدية . فعصمة ام الله من الخطإ والشهوة تبين ان جسدها ليس

1) I p.q . 97 , a . 1 .

جسد موت وفساد بل جسداً يمكنه ان يدخل ملكوت الله دون ان ينحل قبلاً ثم يتجدد .

رابعاً . بما ان مريم كاملة ودائمة البتولية لم يقبل جسدها في القبر فساداً .

يتبين من هذا الكلام انه لا يحق ان يلحق جسدَ مريم فساد . لانه هل يعقل ان من هو القدرة والمحبة بالذات يترك ذاك الجسد البتولي الاطهر كومة فساد بعدما حافظَ بكل اهتمام على نزاهة مريم وبكارتها قبل الولادة وفي الولادة وبعد الولادة ؟ اذا كان الله يحفظ اجساد البتولين والبتولات بلا فساد لكي يعلن فضل البتولية ، افلا يحفظ بنوع امجد وابدع كثيراً جسدَ أمه البكر الطاهرة ملكة العذارى ومزينة نفوس القديسين .

ان هذا البرهان كان لدى الآباء ذا قوّة كُبرى حتى ان القديس المرنم قزما المنشيء أنشدَ في قانون انتقال العذراء قائلاً : « ان الرب اله الكل قد منحكِ ما يفوق الطبيعة لانه كما صان بكارتكِ في الولادة كذلك صان جسدكِ في القبر بلا فساد ومجدكِ بانتقالكِ الالهي مقدماً لكِ الاكرام كما يليق بابن لامه[1] . »

---

[1] التسبحة السادسة لقانون العيد الاول .

خامساً . ان قداسة مريم السامية تقتضي عدم الفساد والانتقال .

نستخلص ايضاً عدم الفساد والانتقال المجيد من ان قداسة مريم هي هكذا سامية حتى انه لا يسمو النعمة التي حلت فيها الّا النعمة التي في السيد المسيح . ولذلك هي مباركة في النساء بل بين جميع الخلائق . وليس مفعول هذه القداسة السامية سلبياً في جسد العذراء مريم فيحفظه من الفساد فقط ، بل يوليها مجداً وسيماً فائقاً حسب المبدإ الذي لا مَردَّ عليه : ان المجد يطابق النعمة ، والحال ان نعمة مريم ممتازة ، اذن مجدها سامٍ وممتاز على جميع الخلائق . وكيف يكون كذلك اذا لم يحفظ جسدُها في القبر بلا فساد ؟

سادساً . ان مريم شاركت الفادي الالهي في آلامه المخلصة .

هـذا تعليم اثبته الآباء القدمـاء كالقديسين يوستينس وايريناوس وكالمعلم ترتوليانس ، ان مريم العذراء اشتركت في فداء الجنس البشري كما اشتركت حواء في سقوطه . نعم ان السيد المسيح هو فادينا ولكنّ مريم اشتركت في الفداء مع المسيح . وكان لها حظ في آلام المسيح اذ كانت تتألم مع ابنها الالهي .

اذن كما انها شاركت يسوع في الآلام بنوع فريد ، كذلك يجب ان تشاركه في المجد . قال السيد المسيح لتلميذي عماوس : « أما كان ينبغي للمسيح ان يتألم وهكذا يدخل الى مجده ! » (لوقا ٢٤ : ٢٦) فيجب اذن ان التي تألمت مع المسيح تدخل الى المجد مثله . ان المسيح حاز النصر على الموت والفساد كذلك مريم حازت النصر عينه مع المسيح وبالمسيح .

سابعاً . البرهان السلبي :

« عدم وجود ذخائر من جسد العذراء مريم يثبت ويزيد قوةً البرهان الايجابي المأخوذ عن امتيازات مريم . »

نتج عن البراهين التي سردناها الى الآن صيانة جسد أمّ الله في القبر بلا فساد . والبرهان الآتي يتمم برهاننا العقلي ويؤدي بنا الى استنتاج الانتقال بالجسد .

انه لا محلّ على وجه البسيطة يحوي جسد ام الله ولا عضواً من اعضائها الطاهرة . وفي كنيستنا اليونانية يعيَّد لنقل ثوبها وزنارها الى فلاشرناس . انما لا معبد في الدنيا يدعي بشرف حصوله على اقل ذخيرة من جسد العذراء الطاهرة ، اذن مريم قامت من الموت كالسيد المسيح . والقديس اندراوس اسقف كريت يستخلص النتيجة نفسها من وجود القبر فارغاً « مؤكداً ان القبر

بقي فارغاً ليعطي شهادة هي شهادة « الانتقال [1] ». والا نلتزم ان نقول ان ذاك الجسد البتولي الاقدس فني تماماً ، وان عبادة المسيحيين لم تحفظ ولا جزءاً صغيراً منه من الفناء . وان السيد المسيح عملَ مع امه أقل مما عملَ مع كثيرين من اصفيائه .

ان ذخائر القديسين (ولا نتكلم عن الذين حفظت اجسادهم سالمة بلا فساد) محفوظة في الهيكل وفي مذاخر نفيسة مرصعة بالحجارة الكريمة ، وهي موضوع تجلة واكرام المؤمنين . فهل نريد ان يشرف الله احباءه وقديسيه لان اجسادهم كانت هيا كل الروح القدس ويترك بلا اكرام لا في السماء ولا على الارض وفي اضمحلال تام الى انقضاء الدهور من صاغ الروح القدس من دمائها وجسدها جسدَ كلمة الله المتأنس ؟ أفلا يمجد الروح القدس عروسه التي هي اقدس واطهر من جميع القديسين ؟ اننا بتسليمنا بفساد جسد مريم نبخسها حقها من الكرامة ونغيظ الله اكثر من إغاظتنا امه الالهية .

اذن يجب ان نقول مع الاباء والكنيسة جمعاء : ان جسد مريم الفائقة القداسة قام وانتقل بامجد نوع الى السماء .

---

1) P. G. XCVII, c. 1083

خلاصة المقالة

قد ثبتت بالبينات الواضحة حقيقة انتقال والدة الاله بالجسد فلا مجال للريب فيها . وقد اثبتناها من تعليم الكنيسة الفاعلي والانفعالي ، من تعليم الرعاة واعتقاد المؤمنين ، ومن تقليد الآباء ومعلمي الكنيسة واللاهوتيين ، ولا سيما من آباء القرن السادس المتصل بتقليد الرسل . ووضح ان الكتب المقدسة تحتوي بنوع ضمني على هذه الحقيقة . وان العقل المعتمد على حقائق الايمان يبين لياقة الانتقال ، وصيانة جسد ام الله الفائق الطهر في القبر بلا فساد . من ذلك كله تتجلى صوابية الحرم اللاهوتي الذي انزله جماعة اللاهوتيين بمنكري هذه العقيدة .

مع ذلك لا يحق لنا ان ندعو من انكرها اراتيكيًا . لان الكنيسة لم تحددها بعد كحقيقة ايمانية موحاة ، انما اكثر اللاهوتيين يعد متجاسراً ومقتحماً على كرامة ام الله من ينكر عليها هذه الميزة السامية . قال دي لوغو : « ان اللاهوتيين يعدون مضادة رأي الآباء والمعلمين العام جسارةً . كما لو قال احد بان سيدتنا والدة الاله لم تنتقل بنفسها وجسدها الى السماء . » وبعض اللاهوتيين يعدون هذه المضادة ضلالاً وقريبة من

الارتقة . قال چوتي (Gotti) : « ان انتقال العذراء مريم هو هكذا اكيد حتى انه لا يمكن نكرانه بدون جسارة واقتراف جرم الضلال . واضيف الى ذلك بان من انكر انتقال مريم مشتبه بصحة ايمانه لانه يناقض ما تعلمه الكنيسة جمعاء فيما يخص امتياز مريم هذا المجيد . » ويقول رينودن (Renaundin) : « ان المنكر لتعليمنا بانتقال ام الله يحسب جسوراً مناقضاً لتعليم اكيد ثابت . ويعد كاذباً مضاداً لحقيقة لاهوتية مقارباً الارتقة ، مخالفاً للعرف العام وتعليم الكنيسة الاكيد الواضح . ومن يقول براي مخالف لرأينا يجرم بخطيئة ثقيلة [1] . »

1) La définibilité de l'Assomption p. 103, 104

ملحق اول

في سمو مجد العذراء مريم في السماء

في عرض المقالة قلنا ان الطوباوية مريم انتقلت واستوت فوق مراتب الملائكة . وهذا لا يحتاج الى برهان لان الكنيسة كلها تقول به . وتسمي هذه السيدة المجيدة والملكة العظيمة العذراء السامية القداسة والكلية الطوبى وخصوصاً في كنيستنا اليونانية يقال كل يوم في الفرض الالهي وفي القداس هذا النشيد : « التي هي اكرم من الكروبين وارفع مجداً بغير قياس من السيرافين . يامن بغير فساد ولدت الله الكلمة . انكِ حقًّا والدة الاله اياكِ نعظم . »

ثم ان المجد يجب ان يؤازي النعمة المعطاة في هذه الحياة الدنيا ، وبما ان مريم نالت نعمة فائقة السمو بل امتلأت نعمة كما سلم عليها بامر الله رئيس الملائكة جبرائيل : « السلام عليكِ يامتلئة نعمةً » وجب ان يكون مجدها سامياً جداً في السماء . ثم بما ان النعمة الممنوحة لناسوت السيد المسيح هي اعظم من النعمة الممتلئة منها مريم . فبالتالي لا يعلو مجد مريم في السماء الا مجد المسيح الاله والانسان

ملحق ثانٍ

في موضع دفن والدة الاله ووقت انتقالها

١ موضع دفنها

يقول بعض المؤلفين ان انتقال البتول تم في بيت المقدس وهذا هو الرأي الاعم والارجح وتؤيده شهادات قديمة في القرون السادس والسابع والثامن لها قوة تاريخية كبيرة، وتثبتها الليتورجيا التي نذكر منها هذا النشيد الوحيد : « ايتها السيدة ان مواكب الملائكة من العلى ومحافل الناطقين باللاهوت (الرسل) قد اقبلوا من كل الاقطار بالاشارة الكلية الاقتدار الى صهيون ليحتفلوا بدفنكِ بحسب الواجب . » وما صهيون سوى بيت المقدس .

اما الراي الثاني القائل بدفن البتول في افسس وانتقالها منها فلا تؤيده شهادات وادلة راهنة .

٢ زمان انتقالها

ان المؤلفين اللاهوتيين يقولون بآراء مختلفة بخصوص السنة التي رقدت فيها والدة الاله وانتقلت بالجسد الى السماء . ويصعب معرفة اي الآراء هو الاصح . فالبعض يقول انها توفيت اذ كان

لها من العمر اثنتان وسبعون سنة ، والبعض اذ كان لها ثلاث وستون ، والبعض تسع وخمسون ، والبعض انها انتقلت في السنة الثانية عشرة بعد صعود ابنها الالهي . والله اعلم

اذا كان تخلل هذه المقالة عن ضعفٍ مني ما لا يتفق مع تعليم الكنيسة وروح الكرسي الرسولي فاني ارجع عنه وأخضع مقالتي وعقلي لتعاليم الكنيسة المقدسة وحبر احبارها الاسمى

الخوري انطون
كيورك ب م

وفي انتقالك لم تهملي العالم
يا والدة الاله

فهرست

صفحة

المقدمة ١

نظرة تاريخية ٣

ايضاح القضية ٥

علاقة القضية بحقائق الايمان ٧

البراهين على القضية

١ً البرهان من تعليم الكنيسة دائماً بهذه القضية ١٠

اولاً — في سلطانها الاعتيادي الاعلى ١٠

ثانياً — في اعتقاد المؤمنين العام ١٣

ثالثاً — البرهان من ليتورجيا الكنيستين اللاتينية واليونانية ١٥

١ : ليتورجيا الكنيسة اللاتينية ١٦

٢ : ليتورجيا الكنيسة اليونانية ١٧

نتيجة البرهان المستند الى تعليم الكنيسة الدائم بهذه القضية ٢٠

٢ً البرهان من تقليد الآباء والملافنة ٢١

اولاً — شهادات الآباء الشرقيين ٢٢

ثانياً — شهادات الآباء اللاتين ٢٨

ثالثاً — شهادات اللاهوتيين ٢٩

اعتراضان على شهادة التقليد ٣٠

اخذ حقيقة الانتقال عن الكتب المزورة ٣٣

٣ً البرهان من الكتاب المقدس ٣٥

صفحة

اولاً — الكتاب المقدس اشار بنوع رمزي الى انتقال العذراء بالجسد ٣٧
ثانياً — الكتاب المقدس يشهد ضمنياً بانتقال والدة الاله بالجسد بالمعنى الحرفي ٤٠
١ : شهادة السلام الملاكي ٤٠
٢ : شهاده النبوة الانجيلية الاولى ٤٢
٤ً البرهان العقلي اللاهوتي ٤٥
البراهين الايجابية ٤٦
اولاً — الانتقال الجسدي هو نتيجة الامومة الالهية ٤٦
ثانياً — صيانة جسد والدة الاله في القبر بلا فساد هي نتيجة وتتمة الحبل الطاهر بها ٤٨
ثالثاً — عصمة مريم من حركات الشهوة تزيد في قوة البرهان المأخوذ من الحبل الطاهر ٤٩
رابعاً — ان مريم كاملة القداسة لم يقبل جسدها في القبر فساداً ٥٠
خامساً — قداسة مريم السامية تقتضي عدم الفساد والانتقال ٥١
سادساً — ان مريم شاركت الفادي الالهي في آلامه المخلصة ٥١
البرهان السلبي : عدم وجود ذخائر من جسد العذراء مريم ٥٢
خلاصة المقالة ٥٤
ملحق اول : سمو مجد ام الله ٥٦
ملحق ثان : موضع دفن ام الله وزمان انتقالها ٥٧

اصلاح غلط

صفحة	سطر	غلط	صواب
٨	١٣	انه	انها
١٥	١٨	٥٩٥	٥٩٣
١٧	٤	للدمشقى	للدمشقي
٢٣	٨	٦٢٤	٦٣٤
٣٧	١٥	عن	الى
٤١	١	من	عن
٤١	١٩	Disputatis	Disputatio